

ظاهرة الإحلال في الشعر العربي:

دراسة في الأبعاد الدلالية للبنية الشعرية

نحوياً وعروضياً

د. حوراء عبدالعزيز سفر (*)

المقدمة :

فكرة الإحلال في الشعر العربي قائمة على دراسة لغة الشعر وبيان دور الجانب العروضي في بناء القصيدة العربية، وأثر ذلك على اختيار التراكيب النحوية من حيث طول الجملة وقصرها، ومدى تأثير الجانب النحوي على هذا البناء الشعري والعكس كذلك، فهي مسألة مترابطة من الجانبين، إذ يختار الشاعر ما يناسب وزن القصيدة من تراكيب لبناء الجملة - أيّاً كان نوعها - الاسمية أو الفعلية أو أشباه الجمل، أو الجمل غير الإسنادية، كجملة الصفة، وجملة الحال.

وهذا البحث يتناول الجمل - بصورها المتعددة - في الشعر العربي، التي حلت محل الاسم المفرد، وسأذكر الشواهد النحوية شعرية أكانت أم قرآنية لتوضيح وتأكيدها ما ورد من ظاهرة الإحلال لدى بعض الشعراء موضع البحث.

والغاية من اختياري للشعر العربي موضعاً للبحث والدراسة هو ما تمتاز به لغة الشعر من خصائص وظواهر، وهي مادة ثرية، تستحق التأمل والتدقيق في قراءتها والبحث في تفاصيلها.

(*) أستاذ مساعد بكلية الآداب . قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الكويت.

ظاهرة الإحلال في الشعر العربي

وحول ذلك يقول الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف: "لا يمكن التنبؤ بما سيسلكه الشاعر مع بناء الجملة في القصيدة، لأن هذا الجانب هو مكمّن الإبداع، لأن الشعر يُصنع من الكلمات لا من الأفكار، ومعنى القصيدة يثيره بناء الجُمْل باعتبارها أصواتاً أكثر مما يثيره بناء الجُمْل باعتبارها معاني"، وإذا كان كل من الشعر والنثر كلاماً من الكلام العربي مصوغاً على نمط الجملة العربية وخصائصها وبنية مفرداتها الصرفية والصرفية، فإنه ينبغي علينا أن نقف على ما يمتاز به الشعر من النثر، ومعرفة الخصائص التي تجعل من الكلام شعراً من حيث قاله وطريقة بنائه الصوتي.^(١)

فلنحو قدرة كشف النص الشعري وتفسيره، فالمعطيات النحوية في تركيب النص لها ارتباط في أجزاء الجملة، ولها دور في إنتاج الدلالات والمعاني. فالشعر العربي بأصوله وقواعده، قائم على تضافر العلوم العربية الأخرى، النحو والصرف، التي تعين على ضبط النص الشعري.

وهذا البحث "الإحلال في الشعر العربي"، يهدف إلى بيان الترابط من علمي النحو والعروض، ومدى قدرة الشاعر على الإبداع اللغوي، حيث تتجانس التراكيب النحوية لبناء القصيدة مع قواعد وأصول الشعر العربي، دون الخروج عن ميزان الشعر، فقد يختار الشاعر بحراً ومن خلاله يختار ما يُناسبه من تراكيب وصور لبناء الجملة في قصيدته مراعيّاً قواعد النحو، دون مخالفة إلا من باب الضرورة الشعرية، إن اضطر الشاعر، والتزام الشاعر وقدرته على الإبداع - بشكل متوازٍ - ما بين العلمين يتطلب إتقاناً ودرايةً بعلمي النحو والصرف، حتى يظهر جمال النص وإبداع الشاعر.

د. حوراء عبدالعزيز سفر

وظاهرة "الإحلال" في الشعر تكون باختيار الشاعر الجملة التي تحل محل الاسم المفرد، ومن خلال استقراء دواوين أبرز الشعر العرب اتضحت هذه الرؤية، وهذه الدراسة توضح صوراً من الموروث الشعري من خلال الشرح والتحليل النحوي، وربطه بمدى سعي الشاعر للحفاظ على موسيقى الشعر وإقامة الوزن في القصيدة.

أهمية الدراسة وأهدافها:

١- يمكن تحديد أهمية الدراسة على النحو الآتي:

أ. إن النحو يفسر النص الشعري، ولغته الشعر ثرية في معانيها ومبانيها، لذلك وجب التعمق في صور بنائها وما تحمله من هذه الصور الإبداعية المتقنة من دلالات لا تتأتى إلا بهذه القوالب والتراكيب النحوية، وهذه غاية البحث بيان جمال ودقة بناء النص الشعري.

ب. إن اختيار الشاعر وجهاً معيناً من أوجه البناء النحوي والعروضي مرتبط باختياره للمعنى، وهذا - بدوره - يُعدُّ اتساعاً في النحو العربي.

٢- أهداف الدراسة:

أ. بيان دور النحو العربي في إيصال المعاني والدلالات، ففي النحو متسع لاختيار النص والكلمات والتعبير المناسبة لسياقه.

ب. إن اختيار الشاعر وإتقانه لعلم النحو والأخذ من بحوره وربطها بعلم العروض ونظم الشعر على أساسه وقوانينه فيه إبداع وجمال لغوي يستحق البحث والدراسة وبيان مواطن الجمال النحوي اللغوي الدلالي؛ فالنحو والعروض يتضافران لبيان الأبعاد الدلالية للنص الشعري.

ظاهرة الإحلال في الشعر العربي

حدود الدراسة:

يقوم البحث بتناول فكرة الإحلال في الشعر من خلال تصنيفه ضمن المباحث الآتية:

أولاً: إحلال الجملة الفعلية محل الاسم المفرد.

ثانياً: إحلال الجملة الاسمية محل الاسم المفرد.

ثالثاً: إحلال الاسم الموصول وجملة الصلة محل الاسم المفرد في لغة الشعر، فلا يُذكر الاسم الموصول إلا مقروناً بهذه الجملة - محل الاسم المفرد، وهذا - بدوره - له أثر في إطالة بناء الجُمْل في بناء القصيدة.

رابعاً: إحلال شبه الجملة محل الاسم المفرد.

خامساً: إحلال المصدر المؤول محل الاسم المفرد.

سادساً: إحلال جملة مقول القول محل الاسم المفرد.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع اتضح أنه لم يسبق أن نُظِمَ بحثٌ يطرح ظاهرة الإحلال على هذه الصورة - المتناولة في هذا البحث - فغاية البحث ربط الجانب النحوي بتراكيبه المختلفة والأخذ من اللغة بما يتناسب مع لغة الشعر، حيث يلتزم الشاعر ببحر معين ويسعى جاهداً للحفاظ على التفعلية لإقامة الوزن، فلا يُخالف إلا إن اضطر فيخرج عن قاعدة نحوية أو أن يأتي بتركيب نحوي بديل؛ كأن يختار الجملة فيحُلها محل الاسم المفرد، فمن هنا ينطلق البحث في تفصيل البناء الشعري للقصائد.

ويمكن تصنيف المباحث على النحو الآتي:

أولاً: إحلال الجملة الاسمية محل الاسم المفرد في الشعر العربي:

تحل الجملة الاسمية محل الاسم المفرد، سواء أكانت الجمل مجردة من العوامل اللفظية، أو كانت مسبوقة بالأدوات المؤثرة كالنفي أو زيادة حرف الجر، الاستفهام، أو النواسخ كالأفعال الناسخة أو الحروف الناسخة، والجملة الاسمية تختص بثبات المعنى لدالاتها على المعنى المجرد من الزمن.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: "وَلْيَأْسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكْ خَيْرٌ"^(١)، قوله: "الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ"^(٢)، "الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ"^(٣)، وقد يستعمل في غيرها كقولك: "زيدٌ ما زيدٌ أو عموم يدخل تحته المبتدأ نحو "زيد" نعم الرجل"^(٤).

وتركيب الجملة ونظم المفردات في شكل معين، لا يعني الجملة المفيدة في كل السياقات، فقد يعني تأليف الحروف لتكوين كلمة، وهو لا يعرف بنظم حروف الكلمة، ونظام ترتيب الجملة والعلاقات التي تربط بين أجزائها له أثره في المعنى^(٥).

ومن المواضع الواردة في الشعر العربي حول إحلال الجملة الاسمية محل المفرد، والتي تتبعها لدى أبرز الشعراء، ما جاء في قول المتنبي^(٦):

لهذا اليوم بَعْدَ غَدٍ أريجُ ونَارٌ في العَدُوِّ لها أجيحُ

فالجملة الاسمية (لها أجيح) المكونة من المتعلق بخبر محذوف (لها)، والمبتدأ المؤخر حلت محل الحال بعد (العدو)، وصاحب الحال (نار)، حيث استعان الشاعر بالجملة الاسمية وأحلها محل الاسم المفرد كي يُخبر عند، ويؤكد على هذا المدلول من خلال جملة اسمية بينت المعنى بشكل مفصل، صاحب الحال (نار)

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

اتخذ الشاعر من الإحلال وسيلةً من وسائل التراكيب كي يمدح من خلاله سيف الدولة في هذه القصيدة، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس، وركب قاصداً سمندو في هذا الموضع تحديداً، و(اليوم) أي الذي سرت فيه للحرب أبناء طيبة، ونار الحرب يضطرم لهيها على الأعداء، وأنت الجملة (لها أجيج) كي تبين هذا البعد الدلالي.

وفي القصيدة نفسها يقول: (٧)

عَرَفْتُكَ وَالصَّفُوفُ مَعْبَاتٌ وَأَنْتَ بغير سَيْفِكَ لَا تَعِيحُ

جملة (والصفوف معبات) اسمية حلت محل الاسم المفرد، بين الشاعر من خلال جملة الحال (والصفوف معبات) قوة سيف الدولة وشجاعته لا يبالي إلا بسيفه؛ حيث كان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم، فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً، فأنشد هذا البيت.

ويقول المتنبي في قصيدة أخرى: (٨)

وَمَا قُلْتُ لِلبدر أَنْتَ اللُّجَيْنُ وَمَا قُلْتُ لِلشمس أَنْتِ الذَّهَبُ

الجمل الاسمية (أنت اللجين)، و(أنت الذهب) حلت محل المفعول به في الموضعين، حيث جاءت مقولاً للقول بعد الفعل (قلت) في الشطرين، بعد الفعل (قلت)، حيث أراد الشاعر من خلال إحلال الجمل في هذا الموضع أن، يوصل دلالة المدح.

ويقول في موضع آخر: (٩)

فالحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَتَا وَإِلْدَاجِي وَتَأْوِيبي

هنا موضعان للإحلال هما:

الأولى: (قَبْلُ لَهُ): مبتدأ وخبر في محل رفع خبر للمبتدأ (الحمد).

الثانية: (بَعْدُ لَهَا): مبتدأ وخبر في محل رفع خبر للمبتدأ (الحمد).

في هذا الموضع يحمد الخيل وكافور، (له) أي لكافور، و(لها) أي للخيل والإدلاج سير، الليل، والتأويب سير النهار، أي أحمدك وأحمد خيلي ورماحي وسيري.

ومما ورد في الشعر قول للفرزدق من بحر الطويل:^(١٠)

وَأَرْضٍ بِهَا جِيلَانُ رِيحٍ مَرِيضَةٍ يَغْضُ الْبَصِيرُ طَرْفَهُ مِنْ فُضَائِهَا

جملة (بها جيلان) تقدم فيها المتعلق بالخبر وتأخر المبتدأ والجملة حلت محل جر صفة لـ(أرض)، حيث أراد الشاعر أن يصف الأرض فأتى بجملة اسمية وأحلها محل الصفة المفردة كي يعكس البعد الدلالي، فالأرض واسعة ومن شدة الريح يحمل الحصى؛ (جيلان: ما أجالته الريح من الحصر)؛ فيغض بصره.

كما ورد له في قصيدة أخرى من بحر الطويل، قوله:^(١١)

أَبَيْتُ أَمْنِي النَّفْسَ أَنْ سَوْفَ نَلْتَقِي وَهَلْ هُوَ مَقْدُورٌ لِنَفْسٍ لِقَاؤِهَا

الجملة الاسمية (أَنْ سَوْفَ نَلْتَقِي) أن المخففة من الثقيلة، اسمها ضمير الشأن محذوف تقديره "أنه" وخبرها "سوف نلتقي" في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثانٍ للفعل (أمني)، أراد الشاعر من خلال إحلال جملة المصدر المؤول محل الاسم المفرد أن يوصل أمنية النفس وهي اللقاء في المستقبل، وكي يزيد من هذا الشعور أتى بأسلوب الاستفهام في الشطر الثاني مما أعطى البيت بعداً دلاليّاً مؤكداً رغبة اللقاء.

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

وفي موضع آخر يقول: (١٢)

وَأَنْتَ سَمَاءُ اللَّهِ فِيهَا الَّتِي لَهُمْ من الأرض يُحْيِي مَيِّتَ الْأَرْضِ مَاوَهَا

جملة (فيها التي لهم من الأرض يحيي) بتقديم المتعلق بالخبر (فيها) وتأخير المبتدأ (التي) وقد حلت الجملة الاسمية محل الحال في هذا الموضع.

ومن إحلال الجملة الاسمية محل المفرد ما جاء في شعر أبي العلاء المعري قوله من بحر البسيط: (١٣)

وَكُلُّ أبيضِ هِنديٍّ به شَطْبٌ مثل التَكسُّرِ في جارٍ بمنحدرٍ

جملة اسمية (به شطب) محذوف فيها الخبر وتعلق بشبه الجملة المقدم (به) وتأخر المبتدأ وجوباً (شطب)، وقد حلت الجملة محل الصفة المجرورة، ولا بد من الإحلال بدل الإتيان بالاسم المفرد وعلّة ذلك إقامة الوزن.

ولهذا الإحلال قيمة دلالية وهي قوة وصف السيف، فجملة (به شطب) هنا أبانت الوصف، فالشطب من طرائق السيف، وكى يزيد جمال الوصف أتى بالتشبيه في الشطر الثاني بيان سرعته وقوته كقوة تكسر الماء الجاري بقوة في المنحدر.

ومن مواضع إحلال الجملة الاسمية محل الاسم المفرد ما ورد في شعر أبي العلاء المعري، قوله من الطويل: (١٤)

لَكَ اللَّهُ، لَا تَذْعُرْ وَلِيًّا بَغْضَبِي لَعَلَّ لَهُ عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ

قوله (وأنت تلوم) جملة اسمية حلت محل الاسم المفرد (الحال)، وقد استعان الشاعر بهذا الشكل التركيبي، وأن الحال بهذه الصورة، إقامة للوزن، حيث بينت

د . حوراء عبدالعزيز سفر

جملة الحال من خلال إحلالها محل المفرد حال صاحبها بصورة جلية هو عتاب الأعبة.

وقد تحل الجملة الاسمية محل الاسم المفرد، ومن ذلك ما نجده في باب الإضافة، قوله تعالى: "وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ"^(١٥):

ومنه ما ورد في شعر النابغة الذبياني في قصيدة (زعموا الرحيل غداً) من الكامل:^(١٦)

أَفِدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَا تَزُلُ بِرَجَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

فجملة (أن ركابنا) الواقعة بعد (غير) حلت محل المضاف إليه.

ولإحلال الجملة هنا محل الاسم المفرد سببان: الأول: إقامة وزن القصيدة فهي من بحر الكامل ، والثاني: بيان قيمة الإضافة نحوياً لما لها من دور دلالي في إيضاح المعنى، فهنا بينت أن قرب الترحل ومفارقة الديار، ولكن الإبل لم تزل فيها وكأنها قد فارقتها لقرب وقت الارتحال.

وقوله في موضع آخر:^(١٧)

غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمْ لَكَ جِيرَةٌ مِنْهَا بَعْطَفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ

حيث حلت الجملة الاسمية " هم لك جيرة" محل المفرد، والجملة هنا في محل جر بإضافة إذ ، ولإحلال الجملة دلالة الاستغناء، أي: وهي جارة لك فكانت تتودد إليك، وتعرض لك وتعطف رسائلها عليك.

نلاحظ أن لغة الشعر تمتاز بالتناسب بين التراكيب والبحر، فكل بحر شعري صورته الموسيقية الخاصة التي ينبغي أن تطبع في النفس، بحيث ندرك عند قراءة

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

بيت أو جزء من بيت أنه من بحر كذا، وهذا لا يتم إلا بتدريب الأذن على سماع النغمة الخاصة بكل بحر ومحاولة استيعابها^(١٨).

ثانياً: إحلال الجملة الفعلية محل الاسم المفرد في الشعر العربي:

قد تحل الجملة الفعلية محل الخبر المفرد، وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ"^(١٩)، وقوله "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"^(٢٠).

ومن لغة الشعر ما ورد في مواضع متعددة في قول المتنبي:^(٢١)

يا عاذل العاشقين دع فنةً أضلها الله كيف تُرشدها
ليس يُحك الملام في همم أقربها منك عنك أبعدها
بئس الليالي شهدت من طرب شوقاً إلى من يبيت يزفدها
أحيتها والدموع تُنجذني شؤونها والظلام يُنجدها

جاء إحلال الجملة الفعلية محل الاسم المفرد في أربعة مواضع:

الأول: جملة (أضلها الله) الجملة الفعلية في محل نصب صفة لـ(فنة)، يريد العشاق، يقول لمن يعذبهم في العشق دع من ذلك قوما أضلهم الله في الهوى كيف ترشدهم بعد أن أضلهم الله، أي أنهم لا يصغون إلى ذلك.

الثاني: جملة (ليس يُحك الملام في همم أقربها) فالجملة الفعلية "يحك" في محل نصب خبر ليس مقدم، وإحلال الجملة هنا بين عدم تأثير اللون في همم أقربها منك في تقديرك أبعدها عنك في الحقيقة.

د. حوراء عبدالعزيز سفر

الثالث: جملة (والدموع تتجدني) فالجملة الفعلية "تتجدني" حلت محل الخبر المفرد للمبتدأ (الدموع)، وفي الإحلال هنا دلالة ذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي كان يرقد تلك الليالي، يعني أنه كان ساليا لا يجد من أسباب امتناع الرقاد.

الرابع: جملة (والظلام يُنجدُها) فالجملة الفعلية "تُنجدُها" حلت محل الخبر المفرد، وفي كل المواضع جاء الإحلال فيها إقامة للوزن، وهذا الموضع يحمل دلالة الحزن وأن تلك الليالي طالت وطال البكاء فيها ويجوز أن تعود الكناية في ينجدها إلى الشؤون، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العاشق.

وقال في موضع آخر من القصيدة نفسها: (٢٢)

فَاغْتَبَطْتُ إِذْ رَأْتُ تَزَيْنَهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا

في هذا البيت موضعان للإحلال:

الأول: (إذ رأْتُ تزينها) فالجملة الفعلية "رأت زينتها" من الفعل والفاعل في محل جر بإضافة إذ إليها.

الثاني: جملة (والجراحُ تحسُدُها) فالجملة الفعلية "تحسُدُها" حلت محل الخبر المفرد، والشاعر اختار هذا التركيب النحوي بإحلال الجملة الفعلية محل الاسم المفرد إقامةً لوزن القصيدة حيث بناها على بحر المنسرح.

أراد الشاعر بهذا الإحلال أن يصف اغتباطها بالضربة لما رأْتُ تزينها بالممدوح حين حصلت على وجهه وحسدتها الجراح؛ لأنها لم تصادف شرف محلّها، والاغتباط يكون لازما ومتعديا ومعنى بمثله به.

وقال في موضع آخر: (٢٣)

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

وكم وكم نعمةٌ مجالَّةٌ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدَهَا
وكم وكم حاجةٌ سمحت بها أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى مَوْعِدَهَا

جاء إحلال الجملة الفعلية محل الاسم المفرد في موضعين:

الأول: جملة (ربيتها) في البيت الأول، حيث حلت محل الصفة الثانية لـ(نعمة) الواقعة بعد (كم)، وهذا البناء التركيبي يحمل دلالة الكثرة لما له من نعم، والمجلة المعظمة، ومعنى "ربيتها" حافظت عليها بأن قرنتها بأمثالها وكان منك ابتداؤها، أي: أنت ابتدأتني بالصنيعة ثم ربيتها.

الثاني: جملة (سمحت بها) في البيت الثاني، حلت محل صفة لـ(حاجة) الواقعة بعد (كم)، و(كم) جاءت جارةً في - في هذا الموضع - فالخفض على أن (كم) بمعنى (رُبَّ)، ويجوز أن يحول بين كم واسمها بمجرد ضرورة الشعر. (٢٤)

وفي كلا الموضعين جاء الإحلال بالجملة الفعلية ضرورةً لإقامة الوزن.

سمحت بها أي بقضائها، أي: قضيتها لي وكذلك قوله موعدها، أي: موعده قضائها، وهذا التركيب يحمل دلالة قصر الوعد.

ومن المواضع المتعلقة بإحلال الجملة الفعلية محل الاسم المفرد، ما نجده في باب الإضافة، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: "وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ" (٢٥)، وقوله: "فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ" (٢٦).

ومن إحلال الجملة الفعلية محل المضاف إليه في لغة الشعر ما جاء في قول المتنبي من الوافر: (٢٧)

فلا زالتُ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَأَيْتَ أَيْهَا الْأَسَدُ الْمَهْيِجُ

د. حوراء عبدالعزيز سفر

قوله (حيثُ كانت) حيثُ ظرف، وجملة (كانت) حلت محل المضاف إليه بعد (حيثُ)، وهذا إحلال لجملة فعلية محل المضاف إليه.

فالشاعر في هذه القصيدة يعني سيف الدولة بوصفه بالأسد من خلال إحلال جملة " حيثُ كانت فرائس "فكلمة" فرائس "خبر زالت، ولما ذكر الأسد استعار له الفريسة، أي: لا زالت عدائك أيها الأسد فرائس لك حيثما كانت.

ومن ذلك ما ورد في شعر النابغة الذبياني من البسيط: (٢٨)

وكان ضُمرانُ منه حيثُ يوزعُهُ طَعْنُ المَعَارِكِ عن المَحْجَرِ النَّجْدِ

قوله (حيثُ يوزعه طعنُ المعارك) جملة "يوزعه" جملة فعلية، من الفعل والفاعل والمفعول به في محل جر بإضافة حيثُ إليها.

ففي هذا البيت يصف خوف الكلب ضمران من المستأنس المذكور في بيت سابق من أن يطعنه في مقتل، وذلك قرب المكان الذي يأوي إليه، فمن خلال الإحلال استطاع الشاعر أن يوصل الوصف بشكل دقيق، فقوله "يوزعه" أي: يغيره المكان البعيد عن القتال.

ومن ذلك ما ورد في شعر النابغة: (٢٩)

زَعَمَ الهَمَامُ ولم أذقه أَنَّهُ عَذْبٌ، إذ ما ذُقْتَهُ وَقُلْتِ: ازْدِدِ

قوله "إذ ما ذقتَه" جملة فعلية في محل جر بإضافة (إذ).

حيث نظم النابغة القصيدة واصفا زوجة النعمان "المتجردة"، والقصيدة من بحر الكامل، وأحلت الجملة محل الاسم المفرد لإقامة الوزن ولدلالة الوصف ودقته من خلال الجملة الفعلية.

ظاهرة الإحلال في الشعر العربي

ومن إحلال الجملة الفعلية محل المضاف إليه ما نجده في شعر أبي تمام من الخفيف قوله: (٣٠)

مَعَ مَا قَدْ طَوَيْتُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَمَا قَدْ نَشَرْتُ فِي الْآفَاقِ
قوله (ما قد طويت من سائر الناس) جملة فعلية في محل جر بإضافة (مع)،
وهنا إحلال الجملة محل المفرد ضرورة لإقامة الوزن، فلا يمكن للشاعر الاستعانة
بالاسم المفرد في هذا الموضع.

ومما ورد في شعر بشار بن برد من إحلال الجملة الفعلية محل الاسم المفرد
قوله في قصيدة (للنفس حاجات إليك) من بحر الطويل (٣١):

كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ لِعَبْدَةٍ حُرْمَةً وَأَسْرَارَ حُبِّ عِنْدِنَا لَا نَبِيحُهَا
تثاقَلتِ الذَّلْفَاءُ عَنِّي وَمَا دَرْتُ بَدِي كَبِدِ حَرَى يَغْضُ قَرِيحُهَا
وَقَدْ كَادَتِ الْأَيَّامُ دُونَ لِقَائِهَا تَصَرَّمُ إِلَّا أَنْ يَمُرَّ سَيْنُحُهَا

في هذه المجموعة من الأبيات أكثر من موضع متعلق بإحلال الجملة الفعلية
محل الاسم المفرد وذلك على النحو الآتي:

أولاً: في قوله (كأنك لم تعلم لعبدية حرمة) فجملة "لم تعلم لعبدية حرمة" جملة
لفعلية في محل رفع خبر (كأن).

ثانياً: قوله (وما درت بدى كبد حرى يغض قريحها) فجملة "يغض قريحها"
جملة فعلية حلت محل صفة للموصوف (حرى).

د. حوراء عبدالعزيز سفر

ثالثاً: قوله (وقد كادت الأيامُ دون لقائها تَصْرُمُ) فجملة (تَصْرُمُ) فعلية في محل نصب خبر (كادت) والفعل (تصرم) حُذفت منه (تاء المطاوعة) للتخفيف، في الأصل (تتصرم).

رابعاً: جملة (أن يمرَّ سنيحُها) في تأويل مصدر في محل نصب على الاستثناء.

بيّن الشاعر من خلال إحلال الجملة محل الاسم المفرد في هذه المواضع المتتالية في هذه القصيدة حاجة النفس للحبيب بصورة أكثر عمقاً .

ثالثاً: إحلال الاسم الموصول وجملة الصلة محل الاسم المفرد في الشعر العربي:

صلة الموصول لا تكون إلا جملة أو شبه جملة، ويُشترط في جملة الصلة أن تكون خبرية، وخالية من معنى التعجب، وكونها غير مفتقرة إلى كلام قبلها، ويُشترط في الظرف والجار والمجرور أن يكونا تامين، والمعني بالتام، أن يكون في الوصل به فائدة، نحو: "جاء الذي عندك، والذي في الدار" والعامل فيهما فعل محذوف وجوباً، والتقدير، جاء الذي استقر عندك" أو "الذي استقر في الدار" فإن لم يكونا تامين لم يجز الوصل بهما^(٣٢).

ووجود الاسم الموصول ضمن بناء الجملة في القصيدة له دور في إطالة بناء الجملة، ووجودها مقصود من الشاعر، إدراكاً منه أن الإتيان بالاسم الموصول المقرون بجملة الصلة له دور في إقامة الوزن، إذ يمكن الشاعر أن يستعين بالاسم المفرد الصريح، ولكن ذلك قد يوجب تغييراً لوزن وقافية، فهو قاصد هذا الاختيار للاسم المبني الذي لا ينفك عن جملة الصلة التي لها دور في إعطاء

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

المعنى لهذا الاسم المبني المهم، ومن هنا تتضح لنا فكرة إكمال المعنى واكتمال المبني لقصيدة شعرية، وهذا يُعد من خصائص لغة الشعر.

ومن ذلك ما ورد في شعر المتنبي قوله من بحر المتقارب: (٣٣)

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السَّجُودَا

الاسم الموصول (الذي) في هذا الموضع حل محل المضاف إليه وجملة صلته (رضينا)، وهذا - بدوره - أطال بناء الجملة، واكتمل الوزن، فالاسم الموصول لا يزول إبهامه وغموضه إلا بوجود جملة الصلة.

ففي هذا البناء التركيبي دلالة الخضوع، فلم يرض ذلك؛ أي: تركنا ما رضينا له - وهو السجود - طلباً لرضاه.

وقال في قصيدة أخرى من الخفيف: (٣٤)

لَيْسَ عَزْمًا مَا مَرَضَ الْمَرءُ فِيهِ لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ

ورد الاسم الموصول في الموضعين (ما) حل محل اسم ليس مؤخر، وتقدم خبر ليس (عزماً)، و(هماً)، والبنية الأساسية للنص: ليس ما مَرَضَ المرء فيه عزماً، وليس ما عاق عنه الظلام هماً.

وهذا التركيب أبان المقصود بصورة مفصلة واضحة لذا استعان الشاعر باسم موصول لغير العاقل، ثم وضح المعنى من خلال جملة الصلة، بأن العزم على الشيء لا يُقصر فيه، وما قصر الإنسان فيه لم يكن ذلك عزماً، وما منعك الظلام عن طلبه ليس هماً.

ومما ورد في شعر المتنبي قوله من الكامل: (٣٥)

د. حوراء عبدالعزيز سفر

فَإِذَا طَلَبْتُ لَدَيْهِمْ مَا لَمْ أَنْلُ أَدْرَكْتُ مِنْ جَدَاوَاهِ مَا لَا أَطْلُبُ

(ما) في الشطر الأول حلت محل المفعول به وعامله (طلبتُ)، جملة الصلة (لم أنلُ)، وفي الشطر الثاني (ما) وصلته (لا أطلبُ)، أيضاً حلت محل المفعول به وعامله (أدرکتُ).

ومما ورد في شعر الأعشى قوله من المتقارب: (٣٦)

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بَهَا بَلَى عَادَهَا بَعْضُ أَطْرَابِهَا

قوله (عمًا) عن حرف جر، و(ما) موصولة في محل جر اسم مجرور، وجملة الصلة (بها)، وهنا إحلال للاسم الموصول وجملة صلته محل الاسم المفرد، وفي ذلك لوم النفس وتأنيبها عن التصابي، فالشاعر يلوم نفسه لعودة شوقه القديم.

ومما ورد في شعر بشار بن برد قوله من الخفيف: (٣٧)

ضَامَهُنَّ الَّذِي تَمَنَّيْنَ شُغْلِي بَفْتَاةٍ مِنْهَا التَّقَى وَالْحِيَاءُ

(الذي) في هذا الموضع حلت محل الفاعل للفعل (ضامهن)، وجملة الصلة (تمنين) لا محل لها من الإعراب.

ومما نجده في شعر الفرزدق قوله من الطويل: (٣٨)

لَفَضِّ الَّذِي أَعْطَى النَّبُوَّةَ كَيْدَهُمْ بِأَكْيَدِ مَمَّا كَايَدُوهُ وَأَقْدَرًا

إحلال الاسم الموصول وصلته محل المفرد جاء في موضعين:

الأول: (الذي أعطى)، إذ حُلَّ الاسم الموصول محل الفاعل.

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

الثاني: (مما كایدوه)، من الجارة، و(ما) اسم موصول حل محل الاسم المجرور.

ومما جاء في شعر أبي العلاء المعري قوله من الوافر: (٣٩)

لي الشرفُ الذي يظاً الثريا مع الفضل الذي بهَرَ العبادا
(الذي) في الشطر الأول حلت محل صفة للمبتدأ المؤخر جوازاً (الشرف)،
وجملة الصلة (يظاً الثريا)، و(الذي) في الشطر الثاني حلت محل صفة مجرورة
للمضاف إليه (الفضل)، وجملة الصلة (بهَرَ العبادا).

استعان الشاعر بالوصف من خلال الاسم الموصول وجملة صلته التي بينت
فخر الشاعر بمكانته العالية، والقصيدة نُظمت من بحر الوافر لذا جاء الوصف
بما يتناسب ووزن القصيدة.

وقال في موضع آخر من الطويل: (٤٠)

لهم أسفٌ يزداد إثرَ الذي مضى من الدهرِ سلماً ليس فيه قتالُ
(الذي) اسم موصول مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، وصلته
(مضى).

رابعاً: إحلال شبه الجملة محل الاسم المفرد في الشعر العربي:

إحلال شبه الجملة محل الاسم المفرد، قد يكون واجباً، وفي مواضع يكون
جائزاً، وفي الشعر قد يكون واجباً للشاعر أن يحل أشباه الجمل محل الاسم
المفرد، كي يستقيم الوزن، وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة من الشعر العربي، ومنه
قول المتنبي من المنسرح: (٤١)

له أيادٍ إلي سَابِقَةٌ أَعْدَّ مِنْهَا وَلَا أَعْدَدُهَا

د. حوراء عبدالعزيز سفر

شبه الجملة (له) متعلق بخبر تقديره كائن أو يكون، للمبتدأ (أيادٍ).

وفي هذه الصورة التركيبية للجملة من خلال تقديم المتعلق بالخبر المحذوف على المبتدأ (أيادٍ) دلالة واضحة وتأكيد على بيان قيمة الإحسان، كأنه قال: له إحسان إليّ؛ لأنه يقال: لك عندي يد، ولا يقال: لك إلي يد، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ^(٤٢)، قال تعالى: "قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ"^(٤٣) والمعنى لطف بي^(٤٤). وقال في موضع آخر من الكامل:^(٤٥)

فلكل مفجوع سواكم مُشَبَّهٌ ولكل مفقودٍ سواه نُظيرُ

قدم الشاعر المتعلقات - أشباه الجمل - في موضعين:

الأول: قوله (فلكل مفجوعٍ سواكم مشبهٌ) الجار والمجرور (لكل) متعلقان بالخبر المحذوف، والمبتدأ (مشبه) مؤخر وجوباً.

الثاني: قوله (ولكل مفقودٍ سواه نُظيرُ) الجار والمجرور (لكل) متعلقان بالخبر المحذوف المقدر بكائن أو يكون، والمبتدأ مؤخر (نظيرُ)، وفي الموضعين اضطر الشاعر لإحلال شبه الجملة محل المفرد لإقامة الوزن، كما لجأ إلى تقديم المتعلق بالخبر المحذوف من باب الوجوب وفقاً لقاعدة نحوية، ومراعاةً للوزن.

وقال في موضع آخر من الكامل أيضاً:^(٤٦)

في كُلِّ يَوْمٍ للقوافي جَوْلَةٌ في قلبه ولأذنه إصغاءٌ

حيث قدم الشاعر المتعلق بالخبر (في كل يومٍ) وأخر المبتدأ (جولة).

ومما نجده في شعر الفرزدق من إحلال شبه الجملة محل المفرد قوله من بحر الطويل^(٤٧):

فلا تفرحاً يا ابني رقاشٍ بنأيها فقد كان مما أن تطمَّ بحورها

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

قوله (مما أن تطم بحورها) مما: جار ومجرور، ومن وما الموصولة، وهما متعلقان بخبر كان المحذوف.

قال في موضع آخر من الوافر: (٤٨)

فإن تكن طيء بجبال سلمى فإن لنا الفضاء مع النجوم

قوله (فإن لنا الفضاء) لنا: جار ومجرور حل محل خبر (إن) المحذوف، والفضاء اسم إن مؤخر، وأصل التركيب: فإن الفضاء لنا، فكي يستقيم الوزن لجأ الشاعر إلى:

تقديم ماحقه التأخير.

إحلال شبه الجملة محل الاسم المفرد.

وقد ورد الإحلال لشبه الجملة في شعر أبي العلاء المعري في مواضع كثيرة، منها قوله من الكامل: (٤٩)

فمن الغمام لو علمت غمامة سوداء هُديها نظير الهيدب

(فمن الغمام) جار ومجرور متعلقان بخبر (غمامة)، وهذا إحلال لشبه الجملة محل الاسم المفرد، والملاحظ أن الشاعر لجأ إلى ثلاثة أشكال في التراكيب النحوية في هذا البيت، هي:

إحلال شبه الجملة محل الاسم المفرد.

تقديم ما حقه التأخير.

الفصل بين الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر بجملة اعتراضية (لو علمت).

خامساً: إحلال المصدر المؤول محل الاسم المفرد في الشعر العربي:

د. حوراء عبدالعزيز سفر

ونجد ذلك في مواضع كثيرة، ومنه ما ورد في شعر المتنبي^(٥٠) في قصيدة من بحر المنسرح:

وَأَيَّقَنَ النَّاسُ أَنْ زَارَعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَخْصِدُهَا

في هذا البيت نجد الشاعر بنى القصيدة على بحر المنسرح، وكى يقيم الوزن جاء بالمفعول به بصورة المصدر المؤول قوله (أَنَّ زَارَعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَخْصِدُهَا) ، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر نصب مفعول به، والتقدير: أَيَّقَنَ النَّاسُ زَارَعَتَهَا بِالْمَكْرِ؛ إلا أن إحلال المصدر محل الاسم المفرد يتناسب مع الوزن.

وقال في موضع آخر من القصيدة نفسها:^(٥١)

لَعَلَّمَهَا أَنَهَا تَصِيرُ دِمَاءً وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُغِيدُهَا

فجمله (أَنَّهَا تَصِيرُ دِمَاءً) من أن واسمها وخبرها في تأويل في محل رفع مبتدأ مؤخر، والتقدير: صيرورتها دماً لعلمها.

وقال في موضع آخر:^(٥٢)

قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا

جملة (أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا) من أن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به (أجمعت).

ومما ورد في شعر الفرزدق من إحلال المصدر المؤول محل المفرد قوله:^(٥٣)

أَبَيْتُ أَمْنِي النَّفْسَ أَنْ سَوَّفَ نَلْتَقِي وَهَلْ هُوَ مَقْدُورٌ لِنَفْسٍ لِقَاؤِهَا

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

قوله (أن سوف نلتقي) أن المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، وجملة "سوف نلتقي" خبر (أن)، وأن واسمها وخبرها، في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثانٍ للفعل (أمتي)، والتقدير: أبيتُ أمني النفس لقاءنا، وما كان للشاعر أن يأتي بالاسم المفرد بديلاً عن المصدر المؤول كي يستقيم الوزن.

ويقول في موضع آخر من بحر الطويل، في قصيدة يهجو الأعم الباهلي: (٥٤)

أَكَانَ الْبَاهِلِيُّ يَظُنُّ أَنِّي سَأَقْعُدُ لَا يَجَاوِزُهُ سِبَابِي

قوله (أني سأقعد لا يجاوزه سبابي) أن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به للفعل (أظن).

والتقدير: الباهلي يظنُّ قعودي..

وحين قراءتي لديوان الفرزدق لمست في قصيدة استعان فيها بالمصادر المؤولة وأحلها محل الاسم المفرد لإقامة الوزن، حيث بنى القصيدة على بحر الطويل: (٥٥)

أَلَا اسْتَهْرَأَتْ مِنِّي هُنَيْدَةٌ أَنْ رَأَتْ أَسِيرًا يُدَانِي خَطْوَهُ حَلَقُ الْحَجَلِ

وَلَوْ عَلِمَتْ أَنَّ الْوَثَاقَ أَشَدُّهُ إِلَى النَّارِ قَالَتْ لِي مَقَالَةٌ ذِي عَقْلِ

الموضع الأول: قوله (أن رأته أسيراً) أن المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها جملة (رأته أسيراً)، والجملة من أن واسمها وخبرها في محل تأويل مصدر في محل نصب حال بعد (هنيدة)، وهي صاحب الحال.

الموضع الثاني قوله: (أن الوثاق أشده) الجملة من أن واسمها وخبرها في محل تأويل مصدر في محل نصب مفعول به للفعل (علم).

د. حوراء عبدالعزيز سفر

وقد ورد في موضع آخر من القصيدة نفسها بعد ثلاثة أبيات قوله: (٥٦)

فَقُلْتُ أَظُنُّ ابْنَ الْخَبِيثَةِ أَنْنِي شُغِلْتُ عَنِ الرَّامِي الْكِنَانَةَ بِالنَّبْلِ

فقوله (أنني شغلت عن الرامي) الجملة من (أن) والضمير المتصل اسمها وخبرها الجملة الفعلية (شغلت عن الرامي) في تأويل مصدر محل نصب مفعول به للفعل (أظنُّ).

ومن إحلال المصدر المؤول محل الاسم المفرد في شعر أبي تمام، ما ورد في قصيدة نظمها من مخرج البسيط: (٥٧)

أَصِيبُ فِيهِ وَكَانَ عِنْدِي عَلَى الْمَصِيبَاتِ أَنْ يُعِينَا

جملة (أن يعينا) أن المصدرية الناصبة ومدخولها في تأويل مصدر في محل رفع اسم كان مؤخر، والتقدير: وكان على المصيبات العون، وأصل التركيب، وكان العون على المصيبات، ولكن الشاعر استعان بشكليين من أشكال التركيب النحوي، الأول: تقديم ما حقه التأخير، والثاني: إحلال المصدر المؤول محل الاسم المفرد، وعلّة ذلك إقامة الوزن.

وقال أبو تمام في موضع آخر من بحر الكامل: (٥٨)

نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلَا يَطْلَعَا إِلَّا ارْتِدَادَ الطَّرْفِ حَتَّى يَأْفَلَا

قوله (ألا يطلعا) أن المصدرية الناصبة وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به للفعل (شاء)، والتقدير: شاء الله طلوعها.

وقال في قصيدة أخرى من بحر البسيط: (٥٩)

مَنْ غَيْرِ مَا سَبَبِ مَاضٍ كَفَى سَبَبًا لِلْحُرِّ أَنْ يَغْتَفِي حُرًّا بِلا سَبَبِ

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

قوله (أن يعتقي) أن المصدرية الناصبة وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل رفع فاعل للفعل (كفى) وصرف الجر بعد زائد، والتقدير: كفى سبباً للحر العفة، ولكن جاء إحلال المصدر المؤول ضرورةً لإقامة الوزن.

كما ورد موضعٌ شبيهه بالبيت السابق في شعر النابغة الذبياني من بحر الوافر قوله: (٦٠)

بِحَسْبِكَ أَنْ سَمِعْتَ وَأَنْتَ حِلٌّ عَلَى الْبَانَاتِ صِرْدَانَا فِصَّاحَا

(بحسبك) الباء حرف جر زائد، و(حسب) مبتدأ مرفوع بضمه مقدره لاشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة (أن سمعت) أن المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، وجملة (سمعت) خبرها أن، والجملة في تأويل مصدر في محل رفع خبر المبتدأ، والتقدير: حسبك سماع، فالملاحظ أن الشاعر استعان بنمطين لإقامة الوزن: الأول: زيادة حرف الجر، والثاني: إحلال المصدر محل الخبر المفرد.

ومنه قوله في قصيدة "زعموا الرحيل غداً" في مواضع متعددة، من بحر الكامل: (٦١)

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنْ رَحَلْتَنَا غَدًا وَبِذَلِكَ خَبَرْنَا الْغَرَابُ الْأَسْوَدُ

فجملة (أن رحلتنا غداً) أن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به للفعل (زعم).
وجاء في موضع آخر من القصيدة نفسها قوله: (٦٢)

فِي إِثْرِ غَانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ

د . حوراء عبدالعزيز سفر

قوله (أَنْ لَمْ تُقْصِدِ) أَنْ المخفضة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، وخبرها جملة (لم تقصد)، والجملة من أَنْ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بإضافة غير، والتقدير: فأصاب قلبك غير قصد.

ومما ورد في شعر أبي العلاء المعري من إحلال المصدر المؤول محل الاسم المفرد، قوله من بحر الوافر: (٦٣)

ولي نفسٌ تحلُّ بي الراوي وتأبى أن تحلَّ بي الوهادا
المصدر المؤول (أن تحلَّ بي الوهادا) حل محل المفعول به في هذا الموضع، والتقدير: وتأبى هي إحلال الوهادا.

ويقول في موضع آخر من بحر البسيط: (٦٤)

لا يوهمك أن الشعر لي خلقٌ وأنتي بالقوافي دائم الأئس
وقوله (أن الشعر لي خلقٌ) فيها إحلال من ناحيتين لاستقامة الوزن: الأول: إحلال المصدر المؤول المكون من أن واسمها وخبرها محل الاسم المفرد - المفعول به الثاني - للفعل "يوهمك".

الثاني: إحلال الجملة الاسمية (لي خلقٌ) خبر محذوف متعلق بشبه الجملة (لي) والمبتدأ مؤخر، وجملة (لي خلق) حلت محل خبر (أن).

سادساً: إحلال جملة مقول القول محل الاسم المفرد في الشعر العربي: من صور الإحلال في اللغة جملة مقول الواقعة، ومن ذلك: قالوا: نحن الجن، فجملة "نحن الجن" مقول القول في محل نصب مفعول به. (٦٥)

ومن ذلك ما ورد في شعر المتنبي من البسيط: (٦٦)

ظاهرة الإحلال في الشعر العربي

قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طَبَّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا لَا يَصْدُرُ الْحُرُّ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ

قوله (طب نفساً) مقول القول في محل نصب مفعول به، وفي موضع آخر، وجملة (لا يصدر الحر إلا بعد مورده) كذلك، ففي الموضعين إحلالاً للجملة محل الاسم المفرد.

فإحلال جمل مقول القول محل المفعول به - الاسم المفرد - أعطى بعداً دلالياً لمعنى القصيدة؛ حيث اعتمد الشاعر هذا النمط التركيبي في القصيدة؛ وغايته بيان جمال الوصف وبلاغته، أي: العطاء "الرفد" يرجع، فطب نفساً عنه: أي دعه ولا تطلبه. يقول: قالت العاذلة: طب نفساً عن العطاء، أي: دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول. فقلت لها: إن الحر إذا قصد أمراً لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه؛ أي لا بد لي من بلوغ ما أطلب.

وقال في موضع آخر من المتقارب: (٦٧)

وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجِينُ وَمَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبُ

ورد موضعان لإحلال مقول القول محل المفعول به، الأول: (أنت اللجين)، والثاني: (أنت الذهب).

وقد استعان الشاعر بجُمل اسمية لإحلالها محل الاسم المفرد، مما أطال بناء الجمل واستقام من خلالهما الوزن.

والغاية الدلالية من جملة مقول القول في هذا الموضع بيان الكمال، فأتى بجملة حلت محل المفرد للتفصيل في بيان صفة الكمال، أي: إنني لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئاً كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب.

د. حوراء عبدالعزيز سفر

ومن ذلك ما جاء في قول أبي العلاء المعري من الطويل: (٦٨)

وقالوا شهور ينقضين بغزوةٍ وما علموا أن القفولَ حرامٌ (٦٩)

جملة (شهور ينقضين بغزوةٍ) مقول القول حلت محل مفعول به للفعل (قالوا).

وجملة (أن القفول حرامٌ) فيها إحلال، حيث إن الجملة مكونة من أن واسمها

في تأويل مصدر سد مسد مفعولي "ما علموا".

وقد استعان الشاعر في هذا الموضع بإحلال الجمل بعد الفعل الماضي في

الشطرين الأول والثاني لإقامة الوزن؛ فالقصيدة من بحر الطويل.

ومما ورد في شعر الفرزدق كذلك من بحر الطويل: (٧٠)

رأيتُ العذاري قد تكرهن مجلسي وقُلْنَ تَوَلَّى عَنْكَ كُلَّ شَبَابِ

في الشطر الثاني قوله (تولى عنك كل شباب) إحلال لجملة مقول القول محل

معمول (قُلْنَ).

وإحلال جملة مقول القول بعد فعل القول في هذا الموضع - تحديداً - جاء

لغائيتين؛ الأولى: إقامة الوزن فالقصيدة من بحر الطويل، والثانية: الإتيان بجملة

عوضاً عن الاسم المفرد لتفسير سبب بُعد وكرهية العذاري مجلسه، وعلّة ذلك

هرمه وزوال شبابه.

ومما جاء في شعر النابغة الذبياني من البسيط: (٧١)

بأن حصناً وحياً من بني أسدٍ قاموا فقالوا حمانا غيرُ مقروب

ففي الشطر الثاني جملة مقول القول "حمانا غير مقروب" حلت محل المفعول

به للفعل "فقالوا"، وهذه القصيدة نظمها في مدح النعمان.

ظاهرة الإحلال في الشعر العربي

ومنه ما ورد في قول الأعشى من المتقارب: (٧٢)

لجارتنا، إذ رأيت لمتي تقول لك الويل أنى لها

قوله (تقول لك الويل أنى لها) حلت جملة (لك الويل أنى لها) محل المفعول به للفعل (تقول)، وهنا إحلال جملة مقول القول أطال بناء الجملة وأكمل الوزن، وفي مثل هذه المواضع لا يُستغنى عن الجملة باسم مفرد.

وقال الأعشى في قصيدة "ما تعيف اليوم"، من الرمل: (٧٣)

عند ذي مُلكٍ إذا قيلَ له فادِ بالمالِ تراخى ومزح

جملة (فادِ بالمالِ تراخى ومزح) مقول القول للفعل المبني للمجهول لـ(قيل)، وهنا إحلال الجملة محل النائب عن الفاعل.

ومما ورد في شعر بشار بن بُرد قوله من الوافر: (٧٤)

يقولون: انعمي ويرون عارا خروجي إن ركبت وإن مشيت

قوله: "انعمي ويرون عارا خروجي إن ركبت وإن مشيت" جملة مقول القول حلت محل الاسم المفرد، وقد استعان الشاعر في هذه القصيدة بإحلال الجمل كي يوصل روح السرد القصصي لبيان الشوق وعتاب الحبيب؛ فالجملة تُقدم هذا البعد الدلالي والشعور الكامن في نفس الشاعر لما فيها من عناصر إسنادية لها قوة البيان وتفصيل المعنى.

وقال في موضع آخر من الطويل: (٧٥)

فقلتُ له يكفيك ما قد أصابني من الحُبِّ في نومي وفي يقظاتي

د. حوراء عبدالعزيز سفر

هذه القصيدة تحمل سمات القصيدة السابقة؛ من حيث السمات اللغوية التي استعان بها الشاعر؛ فقد حلت جملة مقول القول (يكفيك ما قد أصابني) محل الاسم المفرد - المفعول به - للفعل (فقلت)، وانتهج الشاعر هذا السبيل نحوياً - باختياره الجملة - لإيصال العمق الدلالي والشعور، واختار الشاعر من البحور أنسبها - بحر الطويل - وأعمقها للتصوير اللغوي.

**

الخاتمة

اهتدى البحث إلى النتائج الآتية:

- قد يلجأ الشاعر إلى الإحلال في نظم القصيدة لإقامة الوزن، أو قد يكون السبب تقارب المخرج الذي يؤدي إلى تقارب الأصوات، ثم إلى تقارب المعنى، وهو بهذا المقياس يحاول أن يختزل المتعدد إلى مبادئ عامة يفسر في ضوئها المعطيات اللغوية المشتتة.
- إن تكرار الأصوات والتراكيب، ليس ضروريًا لتؤدي الجمل وظيفتها المعنوية والتداولية، فقد يكون هذا التكرار شرط كمال لجمال النص الشعري فهو محسن ولعب لغوي، وهذا - بدوره - يُعد من بديع اللغة.
- إن قارئ الشعر يدرك أنه لعب لغوي، سواء كان لعباً ضروريًا تقتضيه قواعد اللغة، أم كان لعباً اختياريًا.
- إن هناك قواعد صوتية وتركيبية ودلالية يجب أن تُراعى، وهذا هو هدف الكلام، وهي ما يدعى بالقواعد التكوينية، إلا أن الشاعر قد لا يقنع بهذه القواعد، وهنا يظهر دور المحسنات البديعية.
- من خلال دراسة لغة الشعر العربي نصل إلى نتيجة هامة وهي أنه بدون الالتزام بما يفرضه التصرف الإعرابي من قواعد لن نجد شعراً - في أحيان كثيرة - بل نجد صيغاً متجاوزة لا سبيل إلى اتصال معانيها لأنه لا سبيل إلى تحديد وظائفها.

د. حوراء عبدالعزيز سفر

- نظرية الإحلال للجمل في لغة الشعر قائمة على ما يراه الشاعر وفقاً للتفعيلية ضمن البحر العروضي؛ فيضطر لاختيار الجملة عوضاً عن الاسم المفرد حفاظاً على الوزن.

- علم المعاني يشارك النحو في دراسة التراكيب، غير أن هناك فرقاً بينهما في ذلك، فالنحو يهتم بالبحث في تركيب الجملة من حيث صحته وفساده، أي يتناوله على أنه نظام ينبغي أن يراعى فيه الصواب، أما علم المعاني فيهتم بالبحث في التركيب من حيث حسنه وقبحه، أي أنه لا ينظر إليه على أنه نظام ينبغي أن يراعى فيه الصحة والصواب فحسب، وإنما ينبغي أن يراعى فيه أيضاً الجمال والبلاغة.

ظاهرة الإحلال في الشعر العربي

هوامش البحث

- (١) حماسة، أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٥، ١١.
- (٢) سورة الأعراف: ٢٦.
- (٣) سورة الحاقة: ١، ٢.
- (٤) سورة القارعة: ١، ٢.
- (٥) ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي: شرح بن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١م، ط١، ١٩٠/١-١٩٢.
- (٦) عكاشة، د. محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٥م، ١١٩.
- (٧) المتتبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ١١٠ هـ)، ديوان المتتبي، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م، ط٢، ١٩٩.
- (٨) السابق نفسه: ١٩٩.
- (٩) السابق نفسه: ٢٨١.
- (١٠) السابق نفسه: ٢٩١.
- (١١) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن دارم، ديوان الفرزدق، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م، ط١، ٧.
- (١٢) السابق نفسه: ٩.
- (١٣) السابق نفسه: ٩.
- (١٤) المعري، أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ)، شرح ديوان سقط الزند، شرح وتعليق د.ن. رضا، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٧م، ١٩.
- (١٥) السابق نفسه: ١٩.

- (١٦) سورة الأنفال: ٢٦.
- (١٧) النابغة، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (ت ١٨ ق هـ)، شرح وضبط: غريد الشيخ، بيروت: مؤسسة النور، ٢٠٠٠م، ط١، ٣٩.
- (١٨) السابق نفسه: ٤٠.
- (١٩) حماسة، أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف، البناء العروضي للقصيد العربية، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٧م، ٢٧.
- (٢٠) سورة الرعد: ٢٦.
- (٢١) سورة البقرة: ١٥.
- (٢٢) ديوان المتنبي: ٨.
- (٢٣) السابق نفسه: ٨.
- (٢٤) السابق نفسه: ٩.
- (٢٥) انظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠ هـ)، الجمل في النحو، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، الأردن: مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ١٩٨٥، ١٣٧.
- (٢٦) سورة الحجر: ٦٥.
- (٢٧) الروم: ١٧.
- (٢٨) ديوان المتنبي: ١٩٩.
- (٢٩) ديوان النابغة الذبياني: ٣٥.
- (٣٠) أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت ٢٣١ هـ)، ديوان أبي تمام، بيروت: دار صادر، ٤٥٤.

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

- (٣١) برد، بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ)، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- (٣٢) انظر شرح ابن عقيل ١/١٤٨ - ١٤٩.
- (٣٣) ديوان المتنبي، ٨٩.
- (٣٤) السابق نفسه، ١٠٨.
- (٣٥) السابق نفسه، ١٢٣.
- (٣٦) الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن بكر بن وائل (ت ٧ هـ)، ديوان الأعشى، شرح وتقديم: د. يحيى سامي، بيروت: دار الفكر العربي، ط ١، ٢٠٠٤.
- (٣٧) برد، بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ)، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٨.
- (٣٨) ديوان الفرزدق، ١٤٥.
- (٣٩) المعري، أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ)، شرح ديوان سقط الزند، شرح وتعليق د.ن. رضا، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٧ م، ٦٣.
- (٤٠) السابق نفسه، ١٢٤.
- (٤١) ديوان المتنبي، ٨.
- (٤٢) انظر شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١/٢٦٤.
- (٤٣) سورة يوسف: ١٠٠.
- (٤٤) انظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٣/٣٥٢.
- (٤٥) السابق نفسه، ٤٩.

- (٤٦) السابق نفسه، ٨٥.
- (٤٧) ديوان الفرزدق، ١٤٣.
- (٤٨) السابق نفسه، ٤٢٧.
- (٤٩) ديوان أبي العلاء المعري، ١٣٦.
- (٥٠) ديوان المتنبي، ٩.
- (٥١) السابق نفسه، ٩.
- (٥٢) السابق نفسه، ٩.
- (٥٣) ديوان الفرزدق، ٩.
- (٥٤) السابق نفسه، ٢٧.
- (٥٥) السابق نفسه، ٣٤٥.
- (٥٦) السابق نفسه، ٣٤٥.
- (٥٧) ديوان أبي تمام، ٥١.
- (٥٨) السابق نفسه، ٥١.
- (٥٩) السابق نفسه، ١١٧.
- (٦٠) ديوان النابغة الذبياني، ٢٤.
- (٦١) السابق نفسه، ٣٩.
- (٦٢) السابق نفسه، ٣٩.
- (٦٣) ديوان أبي العلاء المعري، ٦٤.
- (٦٤) السابق نفسه، ٧٨.
- (٦٥) ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي: شرح بن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١م، ط١، ١
- (٦٦) ديوان المتنبي، ١٠.
- (٦٧) السابق نفسه، ٢٨١.

==== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي

(٦٨) ديوان أبي العلاء المعري، ٦٦.

(٦٩) انظر: شرح ابن عقيل ٢/٢٤١.

(٧٠) ديوان الفرزدق، ٢٧.

(٧١) ديوان النابغة الذبياني، ١٩.

(٧٢) ديوان الأعشى، ٢٩.

(٧٣) السابق نفسه، ٤١.

(٧٤) ديوان بشار بن برد، ١٩٩.

(٧٥) السابق نفسه، ١٩٩.

**

قائمة المصادر والمراجع

- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي: شرح بن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١م، ط ١.
- أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت ٢٣١ هـ)، ديوان أبي تمام، بيروت: دار صادر، ٤٥٤.
- الأعرشي، ميمون بن قيس بن جنبل بن شراحيل بن عوف بن بكر بن وائل (ت ٧ هـ)، ديوان الأعرشي، شرح وتقديم: د. يحيى سامي، بيروت: دار الفكر العربي، ط ١، ٢٠٠٤.
- برد، بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ)، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البرقوقى، عبدالرحمن، شرح ديوان المتنبي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.
- حماسة، أ.د محمد حماسة عبد اللطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٧م.
- حماسة، أ.د محمد حماسة عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٥، ١١.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠ هـ)، الجمل في النحو، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، الأردن: مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ١٩٨٥.

===== ظاهرة الإحلال في الشعر العربي =====

- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- عكاشة، د. محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٥م.
- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن دارم ، ديوان الفرزدق، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م، ط١.
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ١١٠ هـ)، ديوان المتنبي، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م، ط٢، ١٩٩.
- المعري، أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ)، شرح ديوان سقط الزند، شرح وتعليق د. رضا، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٧م.
- النابغة، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني (ت ١٨ ق هـ)، شرح وضبط: غريد الشيخ، بيروت: مؤسسة النور، ٢٠٠٠م، ط١.

* * *